العنصر الدلالي المجرد في وظائف التاء العربية

أحمد طلعت سليمان*

* دكتوراه في علم اللغة العربية من جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٧.
يعمل أستاذاً مساعداً بجامعة الملك سعود ـ الرياض.

الملخص

حاولنا في هذا البحث الكشف عن العامل المشترك الذي سوّغ إسناد وظائف دلالية مختلفة للتاء في العربية. وقد تفرع البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخلاصة. ففي المقدمة عرضنا لموضوع البحث ومبرراته كما قدمنا عرضا موجزا لخطته.

وفي المبحث الأول درسنا وظائف التاء في العربية عندما تكون مورفيما تعويضيا في المواضع المختلفة من الكلمة. وقد عرضنا لآراء النحويين واللغويين في ذلك وناقشنا تلك الآراء عندما كان ذلك ضروريا. وقد اتضح من البحث أن التاء تقوم بالتعويض عن أصل من أصول الكلمة أو عن صوت زائد. ثم عرضنا للحالات التي تكون فيها التاء أداة تصريفية في الأسماء والأفعال مهما يكن الموقع الذي تتخذه من الكلمة. وبعد فراغنا من ذلك لخصنا الحالات التي تكون فيها التاء أداة للدلالة النحوية في القَسَم وفي الأفعال المضارعة وفي التأنيث وكذلك عندما تكون لاحقه ضميرية. وقد أنهينا هذا العرض بدراسة للتاء عندما تكون أداة دلالةٍ معجمية. واختتمنا المبحث بتلخيص لعلاقة التاء بمستويات اللغة المختلفة وذلك عن طريق جداول ثلاث اختصت بالفونولوجي والصرف والفصائل النحوية على الترتيب.

وفي المبحث الثاني، ناقشنا بالتفصيل النتائج التي توصلنا إليها باستقراء الجداول الثلاثة. وقد خصصنا المبحث الثالث للكلام عن العنصر الدلالي المجرد في وظائف التاء العربية محاولين الوصول إليه عن طريق المستويين السطحي والعميق كما قدمنا وجهة نظرنا في المستوى اللغوي الذي يمكن أن يكون قد سبق غيره في استخدام التاء. أما الخلاصة فقد قدمنا فيها نتائج البحث مدعومة بشكل توضيحي.

١ ــ مقدمة

يهدف هذا البحث إلى محاولة الكشف عن العامل المشترك بين الوظائف الدلالية المتعددة للتاء في العربية. ذلك أن الباحث يدهش لتنوع وتعدد الوظائف التي تخصصها اللغة للتاء العربية أو التي تسندها إليها. وهي وظائف يبدو على السطح أنه لا يربط بينها رابط ولا يجمعها عامل مشترك. وبرغم أننا لا نؤمن بأن الأصوات المفردة لها معان مستقلة قائمة بنفسها فإننا نؤمن مع ذلك بأن اختيار التاء ــ من بين أصوات العربية ــ لإسناد وظائف متعددة إليها على مستويات اللغة وإن لم يكن دليلا على معنى قائم في التاء فإنه قد يكون دليلا على اشتراك الوظائف المختلفة في سمة واحدة أو عنصر واحد يجمع بينها. هذا العنصر هو ما نسميه «العنصر الدلالي المجرّد في وظائف التاء العربية».

وسوف نقوم أولا بعرض موجز لوظائف التاء واستخداماتها على المستويات اللغوية (الفونولوجي والصرفي والنحوي والدلالي)، ثم نقوم بتجريد هذه الوظائف إلى دلالاتها السطحية، وبعد ذلك نحاول تلمس العنصر المجرد الذي قد يكون مشتركا بين الدلالات المتعددة للتاء.

ولسنا نزعم بحال أننا قادرون على الكشف عن العنصر المنشود، لكننا سنحاول ذلك جاهدين، وعزاؤنا أننا نحاول الإمساك بشبح في غرفة مظلمة.

٢ ــ وظائف التاء

٢/١ ــ ليس هناك خلاف كبير بين اللغويين والنحويين العرب على أن التاء تستدعي للقيام بوظائف عديدة يتعلق بعضها بالصوت ويتصل بعضها بالصيغ على حين يتصل بعض هذه الوظائف بالدلالات النحوية أو النظمية، ويختص بعض آخر بالدلالات المجردة عن المستويات اللغوية الأخرى.

وسوف نعرض فيما يلي لهذه الوظائف دون مناقشتها لأن الغرض الأساسي هنا هو البحث عن العامل المشترك بينها والذي سوّغ إسنادها للتاء دون غيرها.

١/٢ ــ مورفيم تعويضي

من بين الوظائف الهامة التي أسندتها اللغة للتاء وظيفتا البدل والعوض سواء كان ذلك عن أصل من الأصول أم عن صوت زائد. وتفرق كتب اللغة بين وظيفتي البدل والعوض على أساس الظروف الصوتية والصرفية المحيطة بكل منهما. لكن الفروق لا تعنينا كثيراً في هذه الدراسة بقدر ما تعنينا حقيقة الإحلال، أي أن التاء تحل محل أصوات أخرى في ظروف معينة محددة مقننة. لذلك فإننا سوف نعرض لحالات الإحلال (العوض والبدل)

معاً، تحت عنوان واحد ومبحث واحد دون أن نخصص مبحثا خاصا لكل منهما وسوف يكون تصنيفنا مؤسسا على المكان الذي سقط منه الصوت وتستدعي التاء لتحل محله. ومن المفيد أن نذكر هنا أننا نعنى بالمورفيم في هذه الدراسة العنصر الصوتي الذي يحمل معنى.

أ ــ الموضع الابتدائي

(١) تحل التاء العربية محل صوت سقط من موضع ابتدائي (فاء الكلمة) وذلك كما في: (السيوطي، ١٩٥٨: ٢٤٤)، (المالقى، ١٩٧٥: ١٦٠)

وهب ــ وَهْب ← هِبة
وَزَنَ ← وَزْن ← زِنَة
وَعَدَ ← وَعْد ← عِدَة
وَعَظَ ← وَعْظ ← عِظَة
وَصَلَ ← وَصْل ← صِلة
وَصَفَ ← وَصْف ← صِفة
وَجَدَ ← وَجْد ← جدَة

وفي الأمثلة السابقة جميعها لم تأخذ التاء مكان الصوت الذي حلّت محلّه بل إنها جاءت كلاصقة بعد الأصل الثالث وبقي مكان الأصل الأول شاغراً. والشكل الآتي يوضح الخطوات التي مرت بها كلمات هذه المجموعة حتى اتصلت بها التاء.

١	وَ	هَـ	بَ	
٢	وَ	هْـ	ب	
٣	Ø	هِـ	بَ	ة

(١)

(٢) كما تحل التاء العربية محل فاء الفِعل والجدير بالذكر أن هذه التاء تكون تاء افتعل كما في:

اتّقَى ← تَقِي
اتّجَه ← تَجه
(ابن جنى، جـ ٢، ١٩١٣: ٢٩٦)

وفي المثالين السابقين لم يحدث في الواقع إحلالَ بالمعنى الفنيّ للكلمة بل إنه قد أضيفت وظيفة جديدة إلى الوظيفة الأصلية لتاء الافتعال بمعنى أنه لم تُدْخل على الكلمة تاء جديدة بل اكتفى بتاء الافتعال التي جاءت أصلا لتؤدي وظيفة محددة، والشكل رقم (٢) يوضح الخطوات التى مرت بها الكلمة.

١	وَ	قَ	ى	
٢	تَ	ق	ى	
٣	تَ	تْ	ق	ى
٤	تَ	ق	ى	

(٢)

كما قد تضاف التاء إلى الافتعال حالّة بذلك محل الواو أو الياء في الأفعال التي على وزن «افتعل» إذا كانت فاؤها واوا أو ياء وكذلك في مشتقات هذه الأفعال. وفي هذه الحالة كما سبقت الإشارة يكون في الكلمة تاءان مُدْغَمتان إحداهما تاء الافتعال والثانية التاء التي حلت محل فاء الفِعْل.

(الراجحي، ١٩٧٩: ١٧٧)
وصف ← او تصف ← اتصف
يسر ← ايتسر ← اتسر
وزن ← او تزن ← اتزن

١	وَ	صَ	ف	
٢	أ	وْ	تَ	صَ	فَ
٣	أ	تْ	تَ	صَ	فَ

(٣)

ب ــ الموضع المتطرف: Final Position

قد تَحِلّ محل لامِ الكلمة على سبيل التعويض في مثل: سَنة ــ مائة ــ رِئة ــ فِئة ــ بنْت ــ أُخْت(١) ــ كِلْتا ــ ثِنْتان.

وهناك خلاف حول التاء التي تأتي ثالثة متطرفة وقبلها ساكن Zero Vowel فهي تتأرجح عندهم بين البدل وبين التأنيث (٢). وقد اعتمد القائلون بالبدل على السكون قبلها لأن تاء التأنيث عندهم يفتح ما قبلها. أمّا القائلون بالتأنيث فقد ذهبوا إلى أنّ «الأخ» و «الابن» من الكلمات السامية القديمة التي تتركب مادتها من حرفين فقط أي أنّها من الكلمات الثنائية. وعلى ذلك فعندهم أنّ التاء لم تأت بدلا من حرف ثالث بل إنها أصيلة

وقد أضيفت للدلالة على التأنيث، ويستشهدون على ذلك بأن هذه التاء التأنيثية تَرِد كثيرا في الأكّادية والعِبْرية دون أن تسبقها فتحة. فعلى الرأي الأوّل القائل بالبدل:

الاصْل	مذكر	مؤنث
أخو	أخ	أخت
بنو	ابن	بنت

١	أَ	خ	و
٢	أَ	خ	∅
٣	أْ	خْ	ت

(٤)

وعلى الرأي الثاني القائل بأصلية تاء التأنيث:

مذكر وأصل	مؤنث
أخ	أُخْت
ابن	بِنْت

١	أ	خ	
٢	أ	خ	ت

(٥)

جـ ــ الموضع المتوسط Medial Position

تقوم التاء بدور مورفيم تعويضي عن صوت سقط من وسط الكلمة نتيجة للتصريف أو الاشتقاق. وبالجملة نتيجة لتطبيق القواعد الصوتية التي تسير عليها اللغة. وقد يكون الصوت الذي سقط من الكلمة أصلا كما قد يكون زائدا. (المالقي، ١٩٧٥: ١٦٠)، (الحملاوي، بدون تاريخ: ٧٨)، (الزبيدي، ١٩٧٥: ٢٩٣).

(١) في مصدر الثلاثي المزيد بتضعيف الوسط تأتي التاء تعويضا عن الفعال وذلك في مثل: كسرَّ تكسيرا، قطّع تقطيعاً، علم تعليما، كذَّب تكذيبا. والشكل الآتي يبين الخطوات التي مرت بها كلمات هذه المجموعة حتى استقرت التاء في أوائلها. ويلاحظ أنه نتج عن ذلك التخلص من أحد الصوتين المدغمين وتحول الألف إلى ياء.

١	كَ	سْ	سَ	ر	
٢	كِ	سْ	س	أ	ر
٣	كْ	س	∅	ي	ر
	ت				

(٦)

قال تعالى: «وكذّبوا بآياتنا كِذّاباً»

(٢) وتأتي التاء تعويضا عن الياء الزائدة في الجمع الذي على وزن فعاليل وذلك مثل:

فرازنة ⟵ فرازين، زنادقة ⟵ زناديق

١	فَ	ر	ا	ز	ي	ن	
٢	فَ	ر	ا	ز	∅	ن	ة

(٧)

(٣) وتكون التاء عوضا من ياء تفعيل أو ألف فعال في المصادر التي على وزن تفعلة.

سلّي ← سلاء ← تسلية (ابن جنى، ١٩١٣: ٣٠٢)

ربّى ← رباء ← تربية

جلّى ← جلاء ← تجلية

خلّى ← خلاء ← تخلية

زكّى ← زكاء ← تزكية

(٤) وتقوم التاء بنفس الدور التعويضي في مصادر «أفعل» معتل العين حيث تنقل حركتها (العين) إلى ألفاء، وتقلب ألفاً لتحركها بحسب الأصل، وانفتاح ما قبلها بحسب الآن، ثم تحذف الألف الثانية لالتقاء الساكنين.. وتعوض عنها التاء (الحملاوي، بدون تاريخ: ٧١) وذلك مثل:

أقام إقامة، أبان إبانة، أعاد إعادة.

١	أَ	عَ	ا	د		
٢	إ	عْ	و	ا	د	
٣	إ	ع	ا	ا	د	
٤	إ	ع	ا	∅	دَ	ة

(٨)

وفي الخصائص أن التاء في هذا الوزن عوض عن ألف إفعال الزائدة على مذهب الخليل وسيبويه. أمّا في قول أبي الحسن فهو عوض عن عين إفعال (ابن جنى، جـ٢، ١٩١٣: ٣٠٥). فالجميع على أن التاء هنا عوض عن حرف في وسط الكلمة والخلاف حول ما إذا كان هذا الحرف زائدا (الخليل وسيبويه) أم أصليا (أبو الحسن).

(٥) وتأتي التاء آخراً في صيغة منتهى الجموع إمّا عوضا عن الياء المحذوفة

«قنادلة» وإما للدلالة على أن الجمع للمنسوب لا للمنسوب إليه «أزارعة، مهالبة».

٢/٢ ــ أداة تصريفية Morphological device

التاء من الأدوات التي يتوصل بها إلى إحداث أوزان جديدة من أخرى قديمة وذلك عن طريق زيادتها سابقة أو مقحمة في الأسماء ولاحقة في الأفعال، كما يتوصل بها إلى معانٍ أو إلى تحديد لمعانٍ في الأفعال وفي غيرها، وتأتي في بعض أوزان جموع القلة وجموع الكثرة (الزبيدي، ١٩٧٥: ٣٠٣). فالتاء إذاً يمكن اعتبارها أداة تصريفية أو أداة من أدوات الصرف والاشتقاق يتوصل بها في أحوال مخصوصة إلى (أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصيلة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة) (السيوطى، جـ ١، ١٩٥٨: ٣٤٦).

أ ــ التاء في الأفعال

تأتي التاء سابقة على وزن «فَاعَل» ليصبح تَفَاعَل دالاً بذلك على معانٍ منها المشاركة بين اثنين فأكثر «تقاتل زيد وعمرو»، والتظاهر أو الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفائه عنه «تناوم ــ تكاسل تجاهل»، والدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئا فشيئا «تزايد المطر ــ تواردت الأخبار» وكذلك يطاوع فاعل «باعدته فتباعد» (الراجحى، ١٩٧٩: ٣٨، ٣٩)، (الحملاوي، بدون تاريخ: ٤٤).

وتأتي سابقة أيضا على وزن فعل مضعف العين فيصبح تفعَّل دالاً بذلك على معان منها (المطاوعة «أدبته فتأدب، علمته فتعلم»، والتكلف وهو الدلالة على الرغبة في حصول الفعل له واجتهاده في سبيل ذلك ولا يكون ذلك الا في الصفات الحميدة: تصبرّ ــ تشجّع ــ تجلّد.. والاتخاذ» تسنم المجد أي اتخذه سناماً، والتجنب بمعنى ترك معنى الفعل والابتعاد عنه (تهجّد، تأثم، تحرّج) (الراجحى، ١٩٧٩: ٣٩). وفي شذا العرف أنه يدل أيضا على التدريج، كتجرعت الماء وتحفظت العلم (الحملاوي، بدون تاريخ: ٤٣).

وتأتي مقحمة على وزن «فعل» (٣) بزيادة ألف الوصل في أوله ليصبح افتعل للدلالة على معان منها المطاوعة مثل جمعته فاجتمع وهنا يطاوع الثلاثي، و يطاوع

الثلاثي المزيد بالهمزة مثل أنْصَفْته فانتصف وأسْمَعْته فاستمع و يطاوع الثلاثي المزيد بتضعيف العين مثل قربته فاقترب، سوّيْته فاستوى. كما يدل على الاشتراك مثل اقْتَتَل زيد وعمرو (وهي نفس دلالة فاعل المزيد بالألف إلاّ أن الفاعل الثاني هنا معطوف وهناك منصوب لوقوعه مفعولا نحويا). كما تدل على الاتخاذ مثل امتطى واكتال، وعلى المبالغة في معنى الفعل مثل اقتلع، اكتسب، اجتهد (الراجحي، ١٩٧٩: ٣٧، ٣٨). وزاد صاحب شذا العرف على ذلك الاجتهاد والطلب كاكتسب واكتتب والاظهار كاعتذر واعتظم (الحملاوي، بدون تاريخ، ٤٢ ــ ٤٣).

ب ــ التاء في المصادر

تكون التاء لاحقة في مصادر فعل وفعل المتعديين إن دَلّت على حِرْفة:

خاط ⟵ خِياطة

وفي مصدر فعل اللازم إن كان مُعْتَلّ الوسط:

ناح ⟵ نِياحة

أول دلّ على حِرْفة:

تجر ⟵ تِجارة
عرف ⟵ عرافة
سَفَر ⟵ سِفارة

كما تكون في المصادر القياسية للأفعال على وزن فعل مضموم العين:

صعب ⟵ صعوبة
سهل ⟵ سهولة
عذب ⟵ عذوبة
فصح ⟵ فصاحة
بلغ ⟵ بلاغة

وتكون التاء في المصادر الدالّة على المرّه وهي المصادر المحدّدة للعدد، وتأتي لاحقه سواء كان المصدر مصوغا من الثلاثي أم من غيره و يؤدي وجودها إلى تغيير في توالي الصوائت Vowel Sequence حيث يُفْتَح ما قبلها، فإن كان المصدر مختوما بالتاء فلابُدّ من الوصف للدلالة على العدد:

أكل ⟵ أكْلة ∅
جلس ⟵ جَلْسة ∅

دعا ← دَعْوة واحدة
رحم ← رَحْمة واحدة
هفا ← هَفْوة واحدة
انطلق ← انْطِلاقة ∅
أقام ← إقامة واحدة

كما تكون في اسم الهيئة الذي يصاغ من الثلاثي فقط ولا يفترق نظام الصوائت فيه عن اسم المرة إلا في أن أوله مكسور، و يزاد الوصف إن كان المصدر الأصلي مختوما بالتاء:

جلس ← جِلْسة ∅
قتل ← قِتْلة ∅
وزن ← وزْنة ∅
خاط ← خِياطة متقنة
تجر ← تِجارة رابحة

وفي المصدر الصناعي تزاد التاء لاحقه بعد الياء المضاعفة وقَدْ يُظنّ أنها جاءت هنا حتى لا يختلط الأمر بالنسب إلاّ أن لاحقة النسب هي (يّ) في المذكرو(يَّة) في المؤنث وتأتي لنقل الاسم من الجمود إلى الوصف في حين تأتي تاء المصدر الصناعي لنقل الاسم من الوصف إلى الجمود.

وطن ← وطنية
إنسان ← إنسانية
صناعة ← صناعية
علم ← علمية

جـ ـ التاء في الجموع

تكون التاء لاحقة في وزنين من أوزان جموع القلة وفي ثلاثة من أوزان جموع الكثرة.

(١) فمن جموع القلة تكون في وزن أفعلة بفتح فسكون فكسر و يطرد في كل اسم مذكر رباعي قبل آخره مد:

طعام ← أطعمة

رغيف ← أرغفة
عمود ← أعمدة

و يلتزم به في فعال مفتوح الأ ول أو مكسوره مضّعف اللام أوْ معّتلها :

زمام ← أزمّة
كساء ← أكسية
رداء ← أردية
قباء ← أقبية
إناء ← آنية

ومن جموع القلة أيضا فعلة مكسور الأ ول ساكن الثاني وهو وزن غير مطّرد وانما سُمِع في ألفاظ منها شيخة وصبية وفتية وغلمة جمع شيخ وصبي وفتى وغلام على الترتيب. (الحملاوي، بدون تاريخ: ١١).

(٢)ومن جموع الكثرة فعلة مضموم الأ ول مفتوح الثاني و يطّرد في وصف عاقل على وزن فاعل معتل اللام:

قاضٍ ← قضاة
حادٍ ← حداة
رامٍ ← رماة

ومنه أيضاً بفتحات ثلاث و يطّرد في وصف مذكر عاقل صحيح اللام:

كاتب ← كتبة
ساحر ← سحرة

والوزن الثالث هو فعلة بكسر يعقبه فتح وهو كثير جمعاً لفعل بضم فسكون صحيح اللام:

قرط ← قرطة
كوز ← كوزة
دب ← دببة (الحملاوي، بدون تاريخ: ١١)

٣/٢ ــ التاء أداة دلالة نحوية: Grammatical semantic device

على المستوى النحوي أو النظمي تقوم التاء بوظيفة دلالية، لكنها ليست دلالة على معنى كالمعاني التي تدل عليها الألفاظ المفردة من صفات وذوات وأحداث. بل إن دلالتها هنا شديدة الارتباط بقواعد اللغة وثيقة الصلة بنحوها. فهي تأتي لِمعانٍ ذات علاقات وليست لمعان مفردة.

أ ــ تاء القسم (تقوية المعنى)

تأتي التاء سابقة على لفظ الجلالة للدلالة على القسم في نحو «تالله لأكيدن أصنامكم» (الأنبياء، ٥٧)، تالله تفتأ تذكر يوسف (يوسف، ٨٥). واللغويون على أنّ التاء التي للقسم ليست أصيلة وإنما هي بدل من أصل هو الواو على أساس أنها لا تدخل إلاّ في اسم اللّه خاصّةً دون غيره من الأسماء المعظّمة على حين تدخل الواو على اسم الله وغيره كما تدخل الباء على كل مقسم به من الظواهر والمضمرات مما يقوي الاعتقاد بأن التاء ثالثة عن الباء ثانية عن الواو. وواضح أنهم هنا اعتبروا مجال الاستخدام Scope of usage. ومما رجّح ذلك أيضاً أنّ التاء تكون بدلا من الواو في بعض المواضع في مثل اتّزن، اتّعَدَ. كما أنّ فتحة التاء التي تماثل فتحة الواو رجّحت أنّ التاء بدل عن الواو وليست عن الباء. (المالقي، ١٩٧٥: ١٧٢).

ب ــ تاء المضارعة (تحديد نسبة الزمن)

ومن أشهر مجالات استخدام التاء أنها تأتي في أول الأفعال المضارعة (الحال) لتحدد زمنها وتخرجه عن الماضي وعن الاستقبال. فهي واحدة من حروف أنيت التي تختص بالمضارع. إلا أنه يلاحظ عليها ازدواجيةً في الدلالة عندما تكون في أول المضارع. فهي تدل على الشخص Person أيضا إذْ أنها من بين حروف أنيت قد اختصت بالخطاب للمذكر وللمؤنث معا، ويدل على أنها للمؤنث أن ينتهي الفعل باللاحقة (ين) كما أن زيادة العدد يُدَلّ عليها بإحدي اللاحقتين (ان) (ون) وفروعهما. وربما استطعنا أن نستخلص مما سبق أنها لا تدل بنفسها على العدد وإنما يدل عليه بوجود مورفيم خاص به (التثنية والجمع) أو بغياب المروفيم Morpheme Zero أو بالياء والنون (المفردة المؤنثة) أو بالنون فقط (جمع الإناث). فتاء المضارعة إذاً تعمل في مجالين هما الزّمن Tense والشخص Person. بعبارة أخرى تعمل في مجالي الحال والمخاطب.

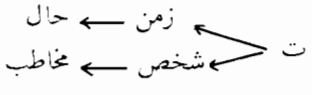

أما من ناحية دلالتها على الجنس هنا، فيلاحظ أن غياب اللاحقة المورفيمية بمحضها للمذكر المفرد على حين أن وجود اللاحقة (ان) أو فرعها Allomorph (ين) يجعلها صالحة للمذكر وللمؤنث ولا ينقذ المعنى إلاّ السياق على حين تقوم (ون)، (ن) بتحديد الجنس بدقة. فإذا كان الفعل مسْنَداً إلى الغائبة تظهر التاء لتؤدي وظيفة حديدة هي الدلالة على زمن الحال وجنس الفاعل دون عدده.

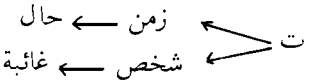

(هي) تكتب.

والخلاصة أنها تدل على الزمن دائما وعلى (الشخص) المخاطب أو الغائبة بحسب السياق.

جـ ـ تاء الجنس (تحديد الجنس): Gender marker

تدخل التاء لاحقة على الفعل الماضي إذا أريد به الفاعلة المفردة المؤنثة وهي بذلك أداة لتحديد الجنس لأن الفعل الماضي بدونها يُدّل على المذكر. وقد أشبهت هنا التأنيث في الأسماء والصفات الذي يُدّل عليه بالتاء الداخلة على المذكر. وفي الحالتين معا يعد عدم وجود مورفيم جنس دليلا على التذكير. والتاء التي للتأنيث في اخر الماضي ساكنة ولذلك فهي لا تؤدي إلى تغيير في نظام الصوائت لكنها تغلق المقطع الأخير من الفعل الذي يكون مفتوحا مع المذكر.

د ـ التاء لاحقة ضميرية: Pronominal suffix

يثبت الاستقراء أن التاء المتحركة تأتي للدلالة على الشخص Person وتمحضه للخطاب سواء كانت ضميرا منفصلا أو متصلا. ففي الضمائر المنفصلة للمفرد والمفردة والمثنى والجمع بنوعيه تظهر التاء بعد القاعدة الضميرية (أن) (جبر، ١٩٨٠: ٢٦) وتتغير حركتها بتغير الجنس فهي مفتوحة مع المذكر مكسورة مع المؤنث (أنتَ ـ أنتِ). وقد تضاف إليها لواحق أخرى لتحديد العدد الذي يزيد عن واحد، وهذا يؤكد أنها لا تدل بنفسها على المفرد أو المفردة عندما تكون آخرا، بل إن غياب اللاحقة العددية يعد في نفسه عنصرا مورفيميا ذا دلالة عددية هي الواحد أو الواحدة (٤). وتتولى حركة التاء (مع المفرد) تحديد الجنس، لكن هذه الحركة تصبح ضمة دائما إذا كان العدد مثنى أو جمعا لأن اللاحقة (م) تدل على المذكر واللاحقة (ن) تدل على المؤنث ولأن اللغة في حالة التثنية لم تفرق بين الجنسين وتركت الأمر للسياق.

وعند إسناد الأفعال للضمائر تظهر التاء مرة أخرى للدلالة على الخطاب متبعة نفس الأسلوب الذي تتبعه عندما تكون لاحقه على القاعدة الضميرية وفي هذه الحالة تَتَخلّص من تلك القاعدة لعدم الحاجة إليها.

٤/٢ ــ التاء أداة دلالة معجمية: A lexical semantic device

نعني بالمعجم هنا ألفاظ اللغة في حالة التعامل معها منفردة دون الحاجة إلى إنشاء علاقات بينها على المستوى النحوي Syntactic level أي أنها الألفاظ كما تصنفها المعاجم وتعطيها معاني ودلالات قد تتغير عند نظمها مع غيرها بحسب السياق. فإذا ارتضينا هذا الفهم فإنّا نلاحظ أن اللغويين العرب يكادون يتفقون على معان محددة للتاء هي:

١ ــ تدخل للتفرقة بين المذكر والمؤنث في الصفات:

ضاربة ــ طويلة ــ عظيمة ــ قائمة

٢ ــ تدخل للتفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء:

امرأة

٣ ــ تدخل للتفرقة بين الجنس والواحد منه أو بين اسم الجنس والواحد أو لتمييز الواحد من الجنس:

حمزة ــ تمرة ــ طلحة ــ نخلة ــ شعرة

٤ ــ تدخل لتأكيد معنى التأنيث (*):

نعجة ــ ناقة

٥ ــ تدخل للمبالغة: (ابن عصفور، جـ ٢: ١٩٧٢: ٧١)

علاّمة ــ نسّابة

والحق أنها هنا لتأكيد المبالغة التي تفهم أصلا من الصيغة إذا جُرِّدت من التاء لأنها تكون على فعّال وهو أحد الأوزان القياسية في المبالغة (٦).

٦ ــ تلحق بالجمع للدلالة على أن الجمع للمنسوب لا للمنسوب إليه:

مهالبة ــ أزارقة ــ أشاعثه (الحملاوي، بدون تاريخ: ١١٠)

٧ ــ تدخل لتأنيث الجمع أو لتأكيد التأنيث:

حجارة ــ عمومة ــ حمامات ــ سرادقات

٨ ــ تدخل لتأنيث اللفظ فقط:

غرفة ــ بسطة

٤/٢ علاقة التاء بمستويات اللغة

١/٤/٢ ــ في الجداول الثلاثة الآتية سوف نلخص العلاقة القائمة بين التاء وبين المستويات اللغوية المختلفة وهي محددة في هذه الدراسة بالفونولوجي والصرف والنحو والدلالة.

أ ــ التاء على المستوى الفونولوجي:

الموضع	الوظيفة	الهدف	
		دلالي	غيره
سابقة	تعريفية	—	+
لاحقة	تعويضية	—	+
مقحمة	—	—	—

(٩)

ب ــ التاء على المستوى الصرفي:

الموضع	الوظيفة	الهدف	
		دلالي	غيره
سابقة	إحداث صيغة	+	—
لاحقة	إحداث صيغة	+	—
مقحمة	إحداث صيغة	+	—

(١٠)

جـ ــ التاء والفصائل النحوية:

الموضع	جنس		عدد	زمن	شخص	الهدف	
	اسم	فعل				دلالي	غيره
سابقة	—	+	—	+	+	+	—
لاحقه	+	+	+	—	+	+	—
مقحمة	—	—	—	—	—	—	—

٣ ــ نتائج الجداول

باستقراء الجداول السابقة، يمكن أن نخلص إلى ما يأتي:

(١) التاء لا تكون مقحمة إلا على المستوى الصرفي. أما على المستوى الفونولوجي ومستوى الفصائل النحوية فإنه ليس لها دور.

(٢) على المستوى الفونولوجي لا تؤدي التاء أي دور دلالي و يقتصر دورها على التعويض. والتعويض لا يكون الا عن نقص والنقص ضعف.

(٣) على المستوى الصرفي تؤدي التاء دورا سطحيا هو إحداث صيغة جديدة، ودورا عميقا هو إحداث معنى جديد. و يلاحظ أن المعنى الجديد ذو علاقة أكيدة بالمعنى الأصلي، كما أنه لا يتوصل إليه إلا بإحداث صيغة جديدة من الأصلية بزيادة التاء. ولما كان ذلك كذلك أمكن القول إن الصيغة الأصلية قاصرة عن التعبير عن المعنى المراد التعبير عنه بزيادة التاء. وهذا لون من ألوان النقص في صورته العامة. وهو نقص يتم التعويض عنه بتوظيف التاء التي تضيف ظلا من معنى أو تحديدا له أو صفة من صفاته Aspect of meaning. وعلى المستوى الصرفي أيضا يلاحظ أن التاء تكون سابقة ولاحقة مقحمة و يفسر ذلك بكثرة المشتقات وصور التصريف.

(٤) وعلى مستوى الفصائل النحوية، تؤدى التاء دورا دلاليا نحويا. فعندما تكون سابقة في الفعل تدل على الزمن والشخص، وعندما تكون لاحقة له تدل على العدد والشخص. وعندما تكون لاحقة في الإسم تدل على العدد والشخص. وهنا أيضا توصلت اللغة عن طريق التاء إلى الدلالة على معان وعلاقات لم تكن الكلمات المجردة من التاء بقادرة على التوصل إليها.

٤ ــ العنصر الدلالي المجرد

ولا يعني هذا بحال أننا نزعم أن التاء وحدها ــ من بين أصوات اللغة ــ هي القادرة على القيام بهذه الأدوار على المستويات المختلفة، بل يعني فقط أننا نزعم أنه ما دامت اللغة قد اختارت التاء ــ من بين أصوات اللغة ــ وأسندت إليها أدوارا ووظائف مختلفة على مستويات مختلفة، فإنه يغلب على الظن أن هناك عاملاً مشتركا Common factor بين هذه الوظائف سوّغ اختيار صوت واحد (التاء في هذه الحال) للقيام بها تأسيسا على علاقة المشابهة أو الاشتراك.

ولما كان من غير الممكن ــ بالتجربة ــ التعرف على العامل المشترك بين الوظائف المختلفة للتاء باستقراء الوظائف ودلالاتها على المستوى السطحي، فإنه قد يكون من الصواب تلمس ذلك العامل على المستوى العميق The deep level. والحق أنه ليس من السهل التوصل إلى ذلك لأن الأمر يتعلق بمرحلة أو مراحل من تطور اللغة، وسواء كانت اللغة ذات أصل أحادى أو ثنائي أو ثلاثي (شاهين، ١٩٨٠: ٥ وما بعدها)، فمن المقطوع به أنها ــ شأن غيرها من اللغات ــ قد مرت بمراحل مختلفة متدرجة. هذا أمر يحتمه منطق الحياة وطبائع الأشياء (ابن جنى، جـ ٢، ١٩١٣: ٢٨ وما بعدها).

فإذا اصطلحنا على ذلك، فإنه قد يكون من المفيد أن نفترض أن اللغة لم توظف التاء للقيام بكل هذه الوظائف دفعة واحدة، بل إنها استخدمتها في مجال بعينه ثم أطلقت استخدامها في المجالات الأخرى لتؤدي نفس الدور الذي أسندته إليها أولا ولكن بأسلوب يتفق مع طبيعة كل مجال.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: أي المجالات كان الأسبق إلى استخدام التاء؟ لا يمكن لنا أن نقبل أسبقية المجال الصرفي لأن تعدد الصيغ والصور لابد أنه جاء في مرحلة متأخرة نسبيا من مراحل تطور اللغة، فالنظام الصرفي للغة العربية ناضج ودقيق ولا يمكن أن يكون قد تم مع بدايات اللغة أو في مراحلها المبكرة، ولا يبقى عندنا بعد إخراج الصرف إلا المجالان الصوتي (الفونولوجي) والنحوي.

وكما لاحظنا عند التعليق على الجداول في ١، ٢، ٣، ٤ فإن العامل المشترك بين وظائف التاء يمكن أن يكون التعويض بمعناه العام أعني ليس التعويض عن صوت كما في المستوى الفونولوجي، بل التعويض عن نقص من نوع ما يتناسب مع المستوى اللغوي الذي يتم التعويض فيه.

فإذا نحيّنا جانبا البدل والتعويض عن عين أو لام أو فاء الكلمة، فإن الدور التعويضي للتاء في القسم وتأكيد المبالغة والتأنيث واضح ففي القسم تقوي المعنى ولا تكون تقوية إلا حيث يوجد ضعف، وفي تأكيد المبالغة تقوم بنفس الدور، والمبالغة في حد ذاتها خروج على الحقيقة، وفي التأنيث تعوض نقصا في المذكر يمنعه عن الدلالة على المؤنث (الزجاج: ١٩٧١: ٣)، لأن المذكر أصل سابق عليه. وفي تمييز الواحد من جنسه وفي اسم المرّة تحديد للعدد وهو إضعاف لأن الواحد ليس كالجماعة والمرّة ليست كعموم المرات. وعندما تدخل على الجمع لبيان أنه للمنسوب وليس للمنسوب إليه فإنها تحدد أمرا شائعا لو ترك وشأنه لأضعف المعنى.

فإذا اتفقنا على أن العنصر الدلالي المجرد في وظائف التاء العربية هو التعويض عن نقص من نوع ما، وإذا اتفقنا على أن التغيرات الصوتية (بالنقص أو بالزيادة) لابد أنها كانت أسبق في الوجود من تفريق اللغة بين المذكر والمؤنث بعلامة باعتبار أن هذا التفريق متعلق بمرحلة من مراحل النضج وليس من مراحل النشوء. فإننا قد نقبل الزعم بأن توظيف التاء للتعويض على المستوى الفونولوجي كان قد سبق توظيفها على المستويات الأخرى وربما يدعم هذا الرأي ما يذهب إليه بعض اللغويين المحدثين من أن الأصل أن يكون للمؤنث لفظ غير لفظ المذكر. بل هناك ما يشير إلى أن الساميين القدامى كانوا يضعون كلمة للمذكر

وأخرى للمؤنث من أصل آخر «حمار × أتان، غلام × جارية» (عبدالتواب، ١٩٨٢: ٢٥١ وما بعدها). يضاف إلى ذلك ما نلاحظه من اضطراب المؤنث في اللغة العربية، فهناك أسماء تطلق على الذكر و الأنثى برغم أن فيها علامة التأنيث (السيوطي، جـ ٢، ١٩٥٨: ٢٢٢). و يقول الثعالبي (الثعالبي، ١٩٥٤: ١١) «من سنن العرب تذكير المؤنث وتأنيث المذكر» وقال نسوة في المدينة «قالت الأعراب آمنّا»، و يقول السهيلي «وأما تذكير الشاة فشائع كثير.. أما في القسم فإنها تقع على الذكر والأنثى» (السهيلي:٩٩). و يقول الزبيدي «ومما لحقته التاء و يكون للمذكر والمؤنث: الحيّة، والحمامة، والبطة» (الزبيدي، ١٩٧٥: ٢٤٧). ولم تسلم اللهجات العربية من الاضطراب بين التذكير والتأنيث فبين لهجتي تميم والحجاز خلافات حول تأنيث وتذكير بعض الألفاظ. (الصالح، ط ٧، ١٩٦٠: ٨٦ وما بعدها).

٣ ــ الخلاصة

تأسيسا على العرض الذي قدمناه لوظائف التاء العربية، وعلى الجداول التي عرضنا فيها للعلاقة بين الوظائف المختلفة للتاء و بين المستويات المختلفة للغة، يمكن لنا ان نخلص إلى أن اللغة استخدمت التاء للقيام بوظائف تتعلق بالشكل والمضمون معا، أو هي تتعلق بالمحتوي (بواو مكسورة) Container و بالمحتوى (بواو مفتوحة) Content في آن واحد.

وتفسير الأمر أن وظائف التاء على المستويين الفونولوجي والصرفي تتصل مباشرة بالشكل الخارجي وأن وظائفها على المستوى الدلالي تتصل بالمضمون.

والحق أن المستوى الفونولوجي تمهيد ضروري للمستوى الصرفي لأنه يتعامل مع المادة الأولية (الأصوات) فيقيم بينها لونا من التناسق والانسجام Harmony يجعلها صالحة لأن تتشكل معا في إطار صرفي Container يصلح لاحتواء معنى أو فكرة Content. والحق أيضا أن الدلالة في مختلف صورها من دلالة اللفظ إلى دلالة الجملة تمثل المضمون في اللغة أو لنقل ــ غير مسرفين في القول ــ إنها قمة اللغة لأنها الهدف النهائي لها.

فإذا كان كذلك ، فإن في توظيف التاء على مستوى الشكل والمضمون إشارة إلى أن اللغة العربية تتبع منطقا يأخذ في اعتباره التوافق بين الاثنين و يقيم بينهما لونا من التوافق والانسجام القائم على علاقة الترابط بين الفكرة والوسيلة أو الوسائل المؤدية لها. هو منطق يرتب النتائج المناسبة على المقدمات المناسبة أو يتوسل إلى النتائج بمقدمات تناسبها.

و يصور الشكل الآتي كيف أن وظائف التاء ــ وإن اختلفت المستويات التي تستخدم فيها ــ تصب جميعا في قناة واحدة هي قناة الدلالة أو المعنى أو الفكرة سواء كان ذلك

بطريق مباشر كما هو الحال في التأنيث أو بطريق غير مباشر مرورا بالمستوى الفونولوجي والصرفي.

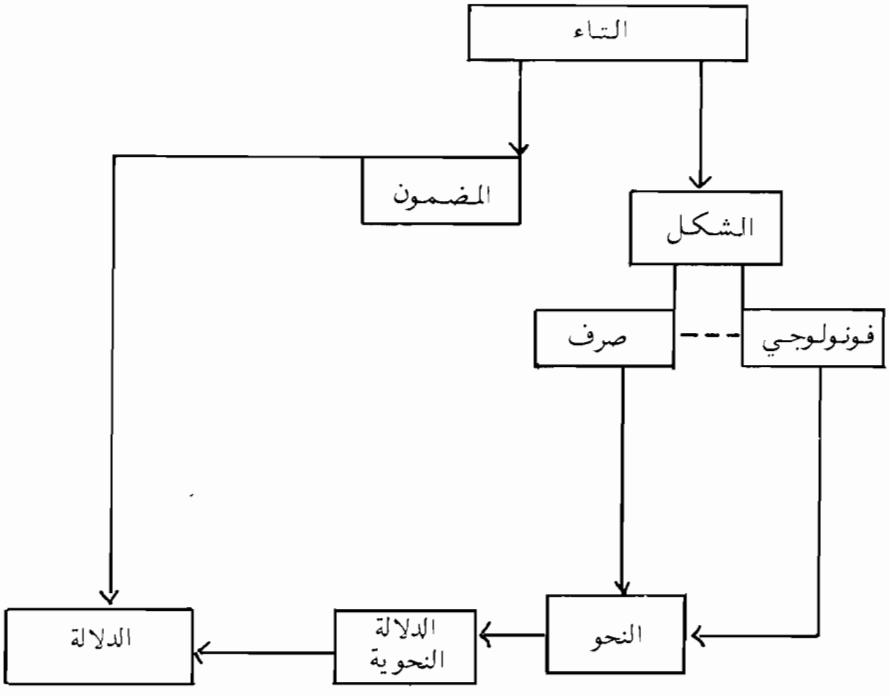

الهوامش

(١) انظر ابن جني، الخصائص، جـ ٢ ص ٢٩٦، سيبويه، الكتاب جـ ٢ ص ٩٢. (والخلاف في تاء أخت وبنت فالاكثرون على أنها عوض من لام الكلمة لأنها واو أو تاء في الأصل.. وأعلوها بالحذف كما أعلوا مذكرها.. وذهب بعضهم إلى أنها علامة تأنيث والصحيح أنها عوض عن لام الكلمة ولكن مع ذلك تدل على التأنيث بلفظها ويخرج من مذهب سيبويه القولان، وظاهر مذهبه أنها بدل ودالة على التأنيث ــ رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ١٣٦، ١٦٤).

(٢) انظر رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٢) ص ٢٥١، وهو يميل إلى الأخذ بدلالة التاء على التأنيث في أخت وبنت برغم أنه يسبقها ساكن في الحالتين، وينقل عن برجستر اسر ما يؤيد ما ذهب إليه. وانظر أيضا ابن جني، سر صناعة الاعراب ص ١٦٥ الذي يري أن التاء ليست للتأنيث في الكلمتين بسبب السكون قبلهما ويتهم من يرى غير ذلك بعدم الخبرة كما يذكر أن سيبويه قد تجوز فقال هما ــ أي التاءان ــ علامتا تأنيث. وانظر في ذلك أيضا رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ١٦٣ حيث يذهب مؤلفه إلى أن التاء في أخت وبنت وهنت عوض عن لام الكلمة التي هي واو لكنها تدل على التأنيث بلفظها. وينحو الرماني نفس المنحى فيرى أن التاء في أخت وبنت عوض عن محذوف. أنظر: معاني الحروف للرماني تحقيق عبدالفتاح اسماعيل شلبي (دار الشروق ــ جدة ١٩٨١) ص ١٥٢.

(٣) من اللغويين العرب من يذهب إلى أن التاء في هذا الوزن دخلته أصلا كسابقة ثم حدث قلب مكاني عدل صورة الصيغة. أنظر رمضان عبدالتواب ــ المدخل ــ ص ٢٣٢ وما بعدها. وأنظر داود عبده ــ أبحاث في اللغة العربية (مكتبة لبنان ــ بيروت ١٩٧٣) ص ١٣٦.

(٤) انظر سالم الجرح ــ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٧/٢٢ ص ٦٠.

(٥) انظر ابن عصفور ــ المقرب ــ تحقيق أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري (مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٧٢) جـ ٢ ص ٧١، ٧٢. وأنظر ايضا رمضان عبد التواب ــ المدخل ــ ص ٢٥١ وما بعدها حيث يذهب إلى أن الساميين القدامى لم يكونوا يتوسلون بوسيلة نحوية للتفريق بين المذكر والمؤنث بل كانوا يضعون لفظا للمذكر وآخر للمؤنث (حمار × أتان، غلام × جارية) وينقل عن الشيخ بهاء الدين النحاس قوله (كان الأصل ان يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر.. لكنهم خافوا ان يكثر عليهم الالفاظ ويطول عليهم الأمر فاختصروا ذلك بأن اتوا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث.. ثم انهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصا على البيان فقالوا كبش ونعجة) وأنظر كذلك أمالي السهيلي ص ٣٠ حيث ينحو نفس المنحى فيقول (إن تاء التأنيث في حمزة وتمرة حرف جاء لمعنى هو الدلالة على الفرق بين الواحد والجمع. لكن الزبيدي ص ٢٩٣ عند كلامه عن الزوائد ومنها التاء يجعل منها علامة تأنيث في مثل طلحة وحمزة ولا يجعلها فرقا بين الجمع وواحده.

(٦) في رصف المباني ص ١٦٠ أنها تكون لتأكيد الصفة في المبالغة. وفي رمضان عبد التواب المدخل أنها تكون لتأكيد المبالغة.

المراجع العربية

ابن جني، أبوالفتح عثمان — **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، جـ ١، ٢، ٣. بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ط ٢ ــ بدون تاريخ.

ابن عصفور، علي بن مؤمن — **المقرب**، تحقيق، أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، جـ ٢، ١٩٧٢.

ابن هشام — **مغني اللبيب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، جـ ١. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، بدون تاريخ.

الأنصاري، أبوزيد — **النوادر في اللغة**، تحقيق: د.محمد عبدالقادر أحمد، جدة: دار الشروق، ١٩٨١م.

أمين، إبراهيم — **من أسرار اللغة**، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥.

أمين، حامد محمد — **البحوث اللغوية في الروض الانف**، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤م.

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى — **مجالس ثعلب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر: دار المعارف، ١٩٦٩م.

الثعالبي، أبو منصور — **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: مصطفى القاسم، ط ٢، ١٩٥٤م.

جبر، محمد عبدالله — **الضمائر في اللغة العربية**، مصر: دار المعارف، ١٩٨٠م.

حجازي، محمود فهمي — **علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣م.

حسن، عباس — **النحو الوافي**، جـ ١، مصر: دار المعارف، ١٩٦٣م.

الحملاوي، أحمد — **شذا العرف في فن الصرف**، بيروت، دار القلم، بدون تاريخ.

الرماني، أبوالحسن علي بن عيسى — **معاني الحروف**، تحقيق: د.عبدالفتاح إسماعيل شلبي، جدة: دار الشروق، ١٩٨١م.

الزبيدي، أبوبكر محمد بن حسن — **ـ الواضح في علم العربية**، تحقيق: د.أمين علي السيد، مصر: دار المعارف، ١٩٧٥م.

الزجاج، — **ـ ما ينصرف وما لا ينصرف**، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٢م.

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله. **الأمالي**.

السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح محمد أحمد جاد المولي، جـ١، ٢، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٨م.

شاهين، توفيق محمد. **أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية**، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠م.

الصالح، صبحي. **دراسات في فقه اللغة العربية**، بيروت: دار العلم للملايين، ط٧، ١٩٦٠م.

عبدالتواب، رمضان. **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م.

عبداللطيف، محمد حماسة. **النحو والدلالة**، القاهرة، ١٩٨٣م.

عمر، أحمد مختار. **علم الدلالة**، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م

المالقي، أحمد عبدالنور. **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٩٧٥م.

ياقوت، محمود سليمان. **قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين**، مصر: دار المعارف، ١٩٨٥م.